جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مناهج اللغويين المتقدمين في تفسير غريب القرآن الكريم

الدكتور
عمر مسلّم العكش
جامعة عجمان

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م
الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص:

مناهج اللغويين المتقدمين في تفسير غريب القرآن الكريم

حاول البحث رصد جهود أئمة اللغة المسلمين في تعاملهم مع نصوص الوحي، بوصفها كانت أولى النصوص في اللغة العربية التي أقيمت حولها دراسة، لغوية منهجية، تبحث في دلالة الألفاظ من حيث المادة الأساسية لأي نص من النصوص، ويعد هذا العمل من أولئك اللغويين إدراكاً مبكراً لحقيقة على جانب كبير من الأهمية في دراسة دلالة الألفاظ، وسعى البحث إلى تحقيق هذه الغاية من خلال التركيز على المبحثين التاليين:

١ – مناهج أئمة اللغة المتقدِّمين في معالجة الغريب في القرآن الكريم.

٢ – مسالك علماء اللغة في التعامل مع اللغات التي نزل بها القرآن الكريم.

وقد استدعى إيفاء هذين الجانبين حقهما من المادة اللغوية أن يحدّد العلماء منهجية التعامل مع نصوص الوحي لتحقيق مقاصد الشريعة الغرَّاء؛ لأن التغاضي عن فهم معاني الألفاظ القرآنية لم يكن ممكناً أو مقبولاً، وكان تفسير غريب القرآن وتأويل مشكله أولى الحركات العلمية التي ترمي إلى توضيح آيات القرآن، وتدل على ارتباط الدراسات اللغوية بالدينية، وتعد مؤشراً على أن نؤرخ لتطور البحث اللغوي عند العرب انطلاقاً من هذه النقطة، فنشأة علوم اللغة كانت استكمالاً للعلوم الدينية ومعواناً على نضجها واتجاهها نحو المنهجية في التصنيف والتبويب والتفريع.

الدكتور / **عمر مسلّم العكش**

Summary

The curriculum of advanced linguists in the interpretation of the Holy Quran

The research sought to monitor the efforts of the imams of the Muslim language in dealing with the texts of revelation, as it was the first texts in the Arabic language on which a systematic linguistic study was conducted, looking at the meaning of words in terms of the basic material of any text, and this work of those linguists early recognition of the truth Was very important in the study of the significance of words, and sought to achieve this goal by focusing on the following two sections:

1 – Methods of the imams of the advanced language in the treatment of the stranger in the Koran.

2 – Pathology of linguists in dealing with the languages in which the Holy Quran came down.

In order to fulfill these two aspects of their language, the scholars must define the methodology of dealing with the texts of revelation in order to achieve the purposes of the Shariah, because disregarding the meaning of the Quranic verses was not possible or acceptable. The interpretation of the Qur'an and the interpretation of its problem was the first scientific movement aimed at clarifying the verses of the Qur'an , And indicates the link between linguistic studies and religion, and is an indication that the history of the development of linguistic research among the Arabs from this point, the establishment of language science was an update of religious sciences and their contribution to the maturity and direction towards the methodology in the classification and tabulation and division.

Dr. Omar Muslim Al - Akash

المبحث الأول

مناهج أئمة اللغة المتقدّمين في معالجة الغريب في القرآن الكريم

أدرك اللغويون العرب منذ وقت مبكر علاقة الألفاظ باللغة والقرآن الكريم والحديث الشريف، ورأوا أنّ القرآن نزل بلغة عربية يتجلى فيها أفصح اللهجات وأعلاها، وكانت هذه اللغة المتخيرة المتمثلة لخصائص العربية في بواديها وحواضرها وقبائلها قد توحدَّت عند نزول القرآن الكريم، لكنهم لمكانة قريش والحجاز –دينياً وجغرافياً وتجارياً– رأوا أن يكتب بلهجة قريش خشية الاختلاف، وتفادياً لكتابته بلهجات محلية لا يعرفها العرب جميعاً، وتلك اللغة اجتمع العرب على وحدتها قبل الإسلام، ثم مدَّ القرآن أطنابها، ورسخ جذورها، فقد كان من إعجازه أن جاءهم بأفصح ما انتهت إليه لغات العرب جميعاً، ولم يحتج السلف، ولا الذين أدركوا وجهه إلى أن يسألوا النبيّ ﷺ عن معانيه؛ وعما فيه ممَّا في كلام العرب مِثْلُه في الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثلُ ما في الكلام من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني [(١)] . وكانت مقدرة التذوق الأدبي، والفهم اللغوي تسمو عندهم إلى مستوى بيانه، ومن هنا كان له في قلوبهم ذلك التأثير العظيم المدهش، وكان إن عزّ فهم شيء منه، أو أشكل توجيهه سألوا النبي ﷺ أو الصحابة رضوان الله عليهم، بيد أن تلك المعرفة الواسعة التي امتلكها السلف الأول لم تكن مطلقة تحيط بآي الذكر الحكيم وكلِمِه بعامة، إنما كانت هناك ألفاظ قليلة نادرة تندُّ عن حفظهم أو اطلاعهم، وكانوا يتجنبون الخوض في تقدير معناها خشية ألاّ تصيب الوجه الدقيق السليم الذي ترمي إليه في الحقيقة. من ذلك ما

(١) مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق د. فؤاد سزكين ، القاهرة ١٩٥٤، ج ١، ص٨

روي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾[١] ، فقال: " أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله مالم أعلم.[٢]

وذُكِر مِثْلُ ذلك عن أنس من أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر: ﴿وفاكهة وأبًّا﴾[٣] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقالَ –لعمركَ– إن هذا هو التكلُّف يا عمر. ولعلَّ أوضح ما يشرح هذه الفكرة ويبين الحكمة من مثل هذا اللون من الورع ما روي عن الشعبي من أنه قال: أدركْتُهم وما شيءٌ أبغض إليهم أن يُسْألوا عنه ولا هم له أَهْيَبُ من القرآن.

يشير هذا كله إلى أمرين هامَّين يستوقفان المتأمل: الأول أنَّ السلف الصالح كانوا يراعون مبدأ الأمانة العلمية ويُعلون من شأن النقل، فما لم ينقل إليهم سليماً مسنداً لا يجتهدون في تأويله، يحفزهم على ذلك إجلالهم لمضمون هذا الكتاب العظيم وتورعهم من الاجتهاد الذي قد يعتوره شيء من الظن والتخمين عند تفسير بعض الألفاظ..

الأمر الثاني أنّ ألفاظاً من القرآن الكريم –ولو قليلة– كانت "غريبة" على بعض القوم يحتاج تقييد مدلولها إلى فضل تأمل وتدبر ومساءلة، وتلك الألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرائبها أنّها منكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن الكريم منزَّه عن هذا جميعه، وإنّما اللفظة الغريبة ها هنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها

(١) النساء –٨٥
(٢) مقدمتان في علوم القرآن ، مكتبة الخانجي ، نشر: أرثر جفري ، ص ١٨٢
(٣) سورة عبس – ٣١

وسائر الناس، واللفظة الغريبة في قبيلة قد تكون مألوفة في قبيلة أخرى، وكذا الأمر في المكان والزمان، فالغرابة هنا نسبية، وجملة ما عدّوه من ذلك في القرآن الكريم كله سبعمائة لفظ أو تزيد قليلاً.

ومنشأ الغرابة فيما عدوه من الغريب بأن يكون ذلك من لغات متفرقة، أو تكون اللفظة الغريبة مستعملة على وجه من وجوه الوضع، يخرجها مخرج الغريب، فقد تضمّن القرآن الكريم كلمات اكتسبت معاني إسلامية تختلف عمَّا ألفه العرب من مدلولاتها في الجاهلية، كالظلم، والكفر، والإيمان، ونحوها ممّا نقل عن مدلوله في لغة العرب إلى المعاني الإسلامية المحدثة، ثمّ حاجة هذه الحضارة الجديدة إلى ألفاظ متطورة الدلالة تسوغها نتائج الفتوحات والاختلاط بالأقوام الأخرى، وإلى ذلك يشير أحمد بن فارس حيث يقول: "وكانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلمّا جاء الله -جلَّ ثناؤه- بالإسلام حالت أحوال ونُسِخت ديانات، وأُبْطِلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول"[١] كما أن دراسة الغريب قد أثارت عدة قضايا أخرى في مقدّمتها: مسألة وجود الأعجمي في القرآن، وقد عدّ العلماء من غير لغات العرب أكثر من مائة لفظة، ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والعبران والقبط، وهي كلمات أخرجتها العرب على أوزان لغتها، وأجرتها في فصيحها، فصارت بذلك عربية[٢] . أمام هذه الحالة وجد

(١) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق : السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٧٧ ، ص : ٧٨ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م ص : ٧٤ وما بعدها .

الحريصون على القرآن والعربيّة أنّ الحاجة تدعو إلى قيام حركة علمية أو تعليمية تخدم القرآن واللغة، وتصون القرآن من عبث الألسنة واللحن وهو يتلى من قبلهم كل يوم. وتلك مسألة تقتضي وضع منهج منظم تتضافر عليه جهود العلماء للنهوض بمثل هذا العمل الضخم.

وكان الصحابة –رضوان الله عليهم– يسمُّون فهم هذا الغريب (إعراب القرآن)، لأنهم يستبينون معانيه ويخلصونها، وقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه". ثم قال: "وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً: من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات"(١) .

والحض على "التماس غرائب القرآن" و "إعرابه" كانا الفاتحة والمنطلق إلى التصنيف في الغريب والمجاز والإعراب، ممّا لا يبعد كثيراً عن معنى الغريب كما يوضح ذلك الإمام السيوطي نفسه حيث يقول:

" المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن؛ لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها"(٢) .

وإن الخلاف في مدلول لفظ "الغريب" ذاته، على جهة اللغة، يكاد لا يذكر، إذْ لا يعدو " الغريب" أن يكون: البعيد عن النظر، أو الفهم، أو هو غير المألوف، المفتقر إلى الوضوح والجلاء، ممّا يمكن لموضعه من السياق أن يعين على

(١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، راجعه : سعيد المندوة، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص : ١١٣ .
(٢) السابق : ١١٣/١

تقريبه، بيد أنّ الشروع في التأليف في " غريب القرآن " أضفى عليه سمة المصطلح فاستدعى ذلك زيادة قول. يقول الإمام أحمد بن محمد الخطّابي البستي:

" الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كما أنّ الغريب من الناس إنّما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأرض. والغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أنه يراد به أنه بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلاّ عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها"(١) .

ويقول الإمام السيوطي: " والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن يُنَقَّر عنها في كتب اللغة المبسوطة"(٢)

فالإمامان الخطابي والسيوطي يتكلمان هنا على غرابة اللفظ، أو الكلمة، لكن الإمام بدر الدين الزركشي يقول على الغريب: " هو معرفة المدلول " (٣) وكلمة المدلول قد تعني اللفظ، وقد تعني المعنى، فالكتب التي ألفت في غريب القرآن تَوَفَّر بعضها على دراسة الألفاظ الغريبة وبعضها تَوَفَّر على دراسة المعاني كما هو الحال في كتب " التفسير " التي اهتمت بالألفاظ والمعاني، وقد أجمع فريق كبير من العلماء على أن ما يُسمّى بـ " غريب القرآن " أو " مجاز القرآن " أو " إعرابه " أو " معانيه " أو " لغات القرآن " ما هي إلا عنوانات لمدلول

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، أنقرة، تركيا، ١٩٤٦م ، ص: ١٢٠٣.

(٢) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى، البابي الحلبي، القاهرة، ج١، ص : ١٨٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨، ج١، ص : ٢٩١ .

يكاد يكون واحداً، ما دام المضمون والغرض شرح اللفظ القرآني والكشف عن غموضه.

واعتمد المفسرون وأئمة اللغة على مصادر عديدة في تتبع الألفاظ القرآنية وشرحها، وبتعدُّد تلك المصادر تعدَّدت مناهجهم وتحدَّدت. وكان أهم تلك المصادر:

(أ) **القرآن الكريم: تفسير القرآن بالقرآن.**

فقد تناول القرآن الكريم موضوعات كثيرة في مواطن متعددة، وربّما جاء ذكر الموضوع أكثر من مرّة لمناسبات مختلفة، وقد يرد ذكر الموضوع في موطن مجملاً، وفي موطن آخر مفصّلاً، وقد يأتي ذكره مطلقاً ثم يقيد في موضع آخر، وكلّ ذلك يزيد من توضيح المعنى، ويبرزه ممَّا جعل العلماء يعتبرونه لوناً من ألوان التفسير، فما التفسير إلاّ الكشف والبيان عن المعنى.

فكثير من آيات القرآن يفسِّر بعضُه بعضاً، فما عُجِّم في مكان قد يُخَصّ في مكان آخر، وكثير من الآيات قُيِّد إطلاقها في مواضع، وما ذكر موجزاً قد نجد بسطه وبيانه في مواضع أُخَر. ولابُدّ للمُفسّر أن يتتبّع الآيات التي تتكرر موضوعاتها في القرآن الكريم ليحيط بمعانيها ودلالاتها في السياقات التي ذكرت فيها.

(ب) **السنة النبوية: تفسير القرآن بالسنّة.**

لقد عُرِف هذا النوع من التفسير بالتفسير بالمأثور، ومن أهم مصادره التي يعتمد عليها " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " للإمام جلال الدين السيوطي، حيث اعتمد على ما أُثر عن رسول الله ﷺ وصحابته الأجلاء -رضوان الله

عليهم- في تقرير المعاني لكثير من آيات القرآن الكريم، وبيان معنى المجمل من القرآن، وإيضاح المعنى القرآني وتقريبه. فعن ابن عبّاس قال: سأل رجل رسول الله ﷺ قال: أرأيت قول الله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾[١] .

قال: اليهـــود والنصارى.

قال: ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ [٢]

ما عضيـــن؟

قال: " آمنوا ببعض وكفروا ببعض".

وقد فسّر رسول الله ﷺ الآيـــة الكريمـــة:

﴿ هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان﴾ [٣]

بقوله: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلاّ الجنـــة ؟

وإنّ الحاجة إلى التفسير ازدادت كلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل في الإسلام من غير العرب، أو نشأ في الإسلام نَشْـــأً لم يحضروا أسباب النـــزول وأحداثه، وكان الرجوع إلى الصحابة -رضوان الله عليهم- وهم الذين عايشـــوا نزول الرحمن، وكان كثير منهم طرفاً في الوقائع والأحداث التي نزل فيها قـــرآن كريم الحلّ الأمثل لاستفساراتهم عن آيات القرآن الكريم، واستدعى ذلـــك انتشـــار الصحابة في الأقطار ليعلّموا النّاس أمور دينهم، ويفسِّروا لهم كتـــاب الله. ومـــن البدهي أن يلتفَّ حول كل علم من هؤلاء الأعلام تلامذة يتلقـــون مـــنهم العلـــوم

(١) الحجر : ٩ .
(٢) الحجر : ٩١
(٣) الرحمن : ٦٠

الإسلامية، ومن البدهي أيضاً أن تتفاوت مناهجهم في تفسير كتاب الله تعالى، وأن تتباين المدارس التفسيرية التي برزت فيما بعد في عهد التابعين.

(ج) التفسير بالرأي:

ونشأ هذا النوع من التفسير -زيادة على التفسير بالمأثور- وهو القائم على التدبر والفهم لكتاب الله -سبحانه وتعالى- والاستعانة في ذلك بالعلوم الخادمة لهذا الغرض الجليل وهي كثيرة فمنها الشعر وعلوم العربية: نحوها وصرفها وبلاغتها، وما روي عن رسول الله ﷺ ، قولاً وعملاً، وغير ذلك من العلوم الكثيرة.

وكانت قضية الاستشهاد على غريب القرآن بالشعر موضع جدل واختلاف بين مؤيِّد ومعارض من العلماء، أمّا دعوى منكري الاستشهاد به فلا تقوم على أدلة مُقنّعة، سوى أنّ سبب هذا الإنكار يرجع إلى الورع الشديد الذي لا مسوّغ له هنا سوى أنّ الشعر مذموم في القرآن الكريم، ولعلّ هذا هو كل ما اعتمدوا عليه في رفض الانتفاع بالشعر ولغته، وتلك دعوى مردودة يشهد بدفعها أنهم اشترطوا لمفسر القرآن معرفة واسعة بالعربية وعلومها ولغات العرب، قال الإمام الزركشي: " ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلاَّ فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. قال يحيى بن نضلة المديني: " سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلاّ جعلته نكالاً. وقال أيضاً: وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[١]

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م : ٢٩٢/١

إن إقبال اللغويين المتقدّمين على الاستشهاد بالشعر والاستعانة به في شرح غريب القرآن، يجعل من الشعر مرجعاً أساسياً لا غنى عنه لتوضيح غريب القرآن، الأمر الذي استدعى البدء بجمعه وتحرِّي نسبته، ورد المنحول منه، وهو أول نشاط علمي من نوعه في تاريخ الشعر العربي، وبهذا العمل بدأت تتشكل النواة الأولى للحركة العلمية في الدراسات اللغوية والأدبية، رافدة للدراسات القرآنية، أو لاحقة بها، لكنّها لم تكن إلاّ وليدة الاشتغال بعلوم القرآن، ونتيجة حتمية يقتضيها ميدان العمل وطبيعته، لأن فروع هذه الحركة العلمية قد غذيت من نسغ واحد هو اللغة العربية، وكان هدفها واحداً في الأصل وهو فهم القرآن العظيم، وهذا الأمر لا يتم إلاّ بشرح غريبه وتأويل مشكله، وما وقع فيه من لغات القبائل غير القرشية، أو من لغات الأقوام غير العربية.

هذه الدراسات التي تركت لنا تراثاً حضارياً وأدبياً جليلاً بدأت خطواتها الأولى كالوليد، في تردد وتعثر وحياء، ومن خلال التجربة والمكابدة راحت معالمها تتضح، ودائرتها تتسع، فبعد جمع القرآن في مصحف واحد، ونقطه، وضبطه، وحفظه، وتبيان آداب تلاوته وحمله.. انتقلوا إلى أوجه القراءات والقراء وطبقاتهم، ثم بدأ التفسير بالرواية وتدوينه عن الراوي، كما يؤثر عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم تلا ذلك بروز الملامح الأولى لحركة التأليف في غريب القرآن، ومعانيه، ولغاته، ومجازه، وإعرابه، وغير ذلك ممّا يخدم النصّ القرآني لغوياً ودينياً، أو ممّا سمّي فيما بعد بـ " علوم القرآن ".

وأول من تنص المصادر على وضعه مصنّفاً في " غريب القرآن " هو ابن عباس المتوفّى سنة ٦٨هـ، ثم توالى التأليف في هذا العلم، ويستخلص من المصادر التي ذكرت أسماء أولئك الأعلام ومؤلفاتهم أنّها جاوزت العشرات، ولن

يتسع مجال البحث هنا لذكرها، ولكن سنحاول تتبع أبرز أولئك المؤلفين والكشف عن مذاهبهم في التعامل مع غريب القرآن.

وتفيد المصادر أن ابن عباس لم يؤلّف كتاب " غريب القرآن " وإنما نقله الرواة عنه وذكر ابن النديم أن أول كتاب ألف في تفسير غريب القرآن هو كتاب ابن عباس الذي رواه مجاهد عنه [١] ، وصدر تحت عنوان: " سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس "[٢] . وتتألف مادة هذه الرسالة من مجموعة من الأسئلة توجه بهما نافع بن الأزرق، ونجدة بن عويمر إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، يسألانه عن مفردات القرآن وغريبه، والأجوبة التي ردَّ بها ابن عبّاس، وقد اعتمد فيها منهجاً لم يُسْبَق إليه وهو تفسير ألفاظ القرآن، والاستدلال عليها بما جاء في شعر العرب، ولم يكن الاحتجاج بالشعر في تفسير وتوضيح مفردات القرآن معروفاً قبل ابن عبّاس، من ذلك قول نافع: يا ابن عبّاس أخبرني عن قول الله عزَّ وجل ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ [٣] الحاجة، قال: أتعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة العبسي وهو يقول:

إنّ الرجال لهم إليك وسيلة ∴ أن يأخذوك تكحَّلي وتخضَّبي [٤]

قال: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ شرعة ومنهاجاً ﴾[٥] .

---

(١) الفهرست، ابن النديم، تحقيق : رضا تجدد، طهران، ١٩٧١، ص : ٥٠ .

(٢) سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس، ابن عباس، تحقيق : د.إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، ص : ٩ وما بعدها .

(٣) المائدة : ٣٥ .

(٤) البيت في ديوانه : ٢٠ .

(٥) النساء : ٢١ .

قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ∴ وبيّن للإسلام ديناً ومنهجاً

قال: يعني به النبي ﷺ (١) .

وعلى هذا المنهج فسّر ابن عبّاس ما يقرب من خمسين ومائتي لفظة من القرآن الكريم. أمّا الكتاب الذي يحمل عنوان " غريب القرآن " ويعزى إلى ابن عبّاس فتفيد المصادر بأنّ السيوطي أورد قبسات منه في كتاب الإتقان بلغت صفحاته عدّاً أربعين صفحة (من ٦/٢ – ٤٦)، ولم يورده كاملاً، واحتجنت كتب التفسير مواده ومنها تفسير ابن كثير، والدر المنثور للسيوطي وغيرها، والتزم ابن عبّاس منهج رسول الله ﷺ الذي كان أعلم الناس بأسرار الكتاب المنزل عليه، وكان يكتفي من تفسيره بما يزيل الشبهة ويوضح الغموض، ولا يفتح باب الاستفسار عمّا لا حاجة إليه لئلا يؤدي إلى التنطع في القول، وإلى الشطط في الاستفسار، وسار على هذا المنهج كذلك كبار الصحابة الذين لم يحاولوا تفسير القرآن وتتبعه من أوله سورة سورة، وآية آية، حتى ينتهي إلى أخره، ذلك لأنهم كانوا يرون أنّ القرآن في انطلاقه الموحي، وفي نظرته الملهمة باستمرار، وفي تأثيره الروحي والأخلاقي يجب أن لا تحده حدود، وأن لا تقيده قيود ذهنية بشرية، فالتزم سلفنا الصالح الخطة المحكمة: تفسير كلمة من هنا أو آية من هناك، بحسب الظروف والأحوال، وقد قلَّ ما نقل عنهم لوجودهم في وَسَطٍ أغلبُه عالمون بكتاب الله عزَّ وجلَّ، عارفون بمعانيه وأحكامه، عَرَبٌ تقل لديهم الحاجة

(١) سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس، ابن عباس، تحقيق : د.إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، ص : ٩ وما بعدها .

إلى الرجوع في التفسير إلى غيرهم، وقوام المنهج الذي كان متبعاً في عهد الصحابة عامة، ونقلت الأجيال عنهم، والتزمت به، هو تفسير القرآن بالقرآن، من ذلك ما ورد عن ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾[١] . قال: "إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" [٢] ، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[٣] . وروي عن ابن عبَّاس أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وشاهد ومشهود[٤] الشاهد: هو رسول الله ﷺ ثم تلا: ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ [٥] ، والمشهود يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾[٦] .

وإن لم يجد ابن عبّاس بغيته في تفسير القرآن بالقرآن انتقل إلى تفسيره بالسنة النبوية، فمن المعلوم أن مهمة رسول الله ﷺ التبليغ والبيان، يقول تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للنّاس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [٧] ومن تفسير ابن عبّاس القرآن بالسنة النبوية تفسير قوله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾[٨] . يورد ابن عبّاس قول رسول الله ﷺ :" صلوا أرحامكم فإنه

---

(١) النساء : ٢١ .
(٢) تفسير ابن كثير : ٤٦٧/١
(٣) البقرة : ٢٢٩ .
(٤) البروج : ٣ .
(٥) النساء : ٤١
(٦) هود : ١٠٣ .
(٧) النحل : ٤٤
(٨) النساء : ١ .

أبقى لكم في الحياة الدنيا وخيرٌ لكم في آخرتكم "[١] . وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تُنْهون عنه نكفِّرْ عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ [٢] قال ابن عبّاس: قال رسول الله ﷺ : " من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر "[٣]

وإن لم يجد ابن عبَّاس بغيته في تفسير القرآن بالسنة انتقل إلى تفسيره للقرآن برأيه الموافق لعمومات القرآن والسنة، وقد رُوي عنه أنه فسَّر ﴿الصراط المستقيم ﴾[٤] بدين الإسلام، وهو قول عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾[٥] . يروي الطبري عن ابن عبّاس قوله: من لم يطق الصوم إلاّ على جهد فله أن يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً، والحامل والمرضع والشيخ الكبير والذي به سقم دائم.

ولاشك أن جهود ابن عبّاس في تفسير غريب القرآن تُعدُّ نقطة الانطلاق إلى التأليف في " الغريب" بل إلى التأليف بصورة عامة، وسؤالات نافع بن الأزرق لها مكانة تاريخية في علم التفسير، فهي تمثل باكورة جهود اللغويين في تأصيل علم الدلالة عند العرب، إذ انصرفت جهودهم إلى دراسة ألفاظ القرآن الكريم، وتفسير دلالاتها، وتتبع معانيها. وقال الزركشي: " وكان الأصمعي، وهو إمام اللغة لا يفسّر شيئاً من غريب القرآن، وحكي عنه أنه سئل عن قوله تعالى:

---

(١) الدر المنثور : ١١٧/٢ .
(٢) النساء : ٣١ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٤٨٤/٢ .
(٤) الفاتحة : ٦ .
(٥) البقرة : ١٨٤ .

﴿ شَغَفَها حُبّاً ﴾ [١] ، فسكت وقال: " هذا في القرآن، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها: أتبيعونها وهي لكم شغاف؟ ولم يزد على هذا " [٢]

ويتضح من هذا المثال وغيره أنّ المعنى العام للآيات لم يكن محلَّ التباس أو اختلاف ومساءلة، إنما الذي شغلهم هو معنى بعض المفردات، وخاصّة في الإطار الديني القرآني. واقترن أحياناً المعنى القرآني باللغوي الصرف، أو تداخل المعنيان، وربما من هنا قال الزركشي: " وينبغي العناية بتدبر الألفاظ، كي لا يقع كما وقع لجماعة من الكبار، فروى الخطّابي عن أبي العالية أنه سُئِل عن معنى قوله: ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ لا[٣]، فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر. قال الحسن: مَهْ يا أبا العالية! ليس هكذا، بل الذين سَمَعْوا عن ميقاتها حتى تفوتهم، ألا ترى قوله ﴿ عن صلاتهم ﴾ ؟ فلم يتدبر " أبو العالية " الحرف (في) و(عن) الذي تنبه له الحسن، إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: (في صلاتهم)، ولكن قوله: ﴿ عن صلاتهم ﴾ دلّ على أنّ المراد الذهاب عن وقت الصلاة ، وكذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن [٤] إنه من: عشوت أعشو عشواً إذا نظرت، وغلَّطوه في ذلك، وإنما معناه: يعرض، وإنّما غُلِّط لأنه لم يفرّق بين عشوت إلى الشيء، وعشوت عنه"[٥] .

---

(١) يوسف : ٣٠ .
(٢) البرهان في علوم القرآن : ٢٩٥/١ .
(٣) الماعون : ٥ .
(٤) الزخرف : ٣٦ .
(٥) البرهان في علوم القرآن : ٢٩٤/١

والذي يعنينا في ميدان البحث اللغوي مصطلح " غريب القرآن "، فتحت هذا العنوان وضع ابن عبّاس، أو أملى على تلاميذه أول كتاب في الموضوع، ويعني هذا سبقاً مبكراً جدّاً في التأليف، لأن التأليف عن العرب بدأ في القرن الثاني الهجري، بل في النصف الثاني منه غالباً، والمشهور أن ابن عبّاس توفي عام ٦٨ للهجرة، وغدا علم " غريب القرآن " مبحثاً لغوياً متخصصاً يمثل الجانب اللغوي من علم التفسير. وبلغ التأليف في هذا الفن مرحلة النضج والتكامل في القرن الثالث للهجرة الذي شهد ثراءً في التآليف اللغوية، ومن الرسائل التي وصلت إلينا من هذا القرن " كتاب غريب القرآن وتفسيره " [١] لليزيدي (-٢٣٧هـ) ولم يقدِّم لكتابه بمقدِّمة يبيِّن فيها غرضه من وضع مؤلفه، بل افتتحه مباشرة بقوله " بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله "، وبعد ذلك بدأ بشرح غريب سورة الفاتحة التي قال عنها: " سورة أم الكتاب ".

والكتاب أحد مصنفات علم الغريب، استهدف شرح غريب ألفاظ القرآن الكريم وتوضيح معانيها، ونهج المؤلف في كتابه منهجاً وسطاً في شرح غريب مفردات القرآن، فلم يسهب في الشرح، ولم يوجز، ولم يقف إلاّ عند المفردات التي رأى أنها بحاجة إلى توضيح وشرح، ومثال ذلك شرحه كلمة ﴿يخادعون﴾ [٢] فقال: " يظهرون خلاف ما في أنفسهم ". ويذكر القراءات القرآنية لبعض الألفاظ ويبيِّن معانيها، ولكنه لم ينسبها إلى أصحابها، ومثال ذلك تفسيره كلمة (ننشرها) في قوله تعالى: ﴿ كيف ننشرها﴾ [٣] فقال: " من قرأها بالزاي فهي ترفع بعضها إلى بعض، ومن قرأها بالراء فهي نحييها، يقال: أنشر الله الموتى فَنُشِروا "،

(١) طبع الكتاب الطبعة الأولى بتحقيق محمد سليم الحاج، دار عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥ .
(٢) البقرة : ٢٥٩ .
(٣) البقرة : ٢٩٥ .

وشرحه كذلك كلمة (يغـل) في قوله تعالى: ﴿ وما كان لنبـي أن يَغِـلَّ ﴾[١] : يخون، ذلك أنهم اتهموا النبي ﷺ ومن قرأ " يُغَلّ " فهو يُخان، والمعنى أن بعـض القوم خان، ويستشهد اليزيدي على تفسيره بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديـث النبوية الشريفة والشعر. وقد رتب كتابه حسب تسلسل سور القرآن الكريم، فبـدأ بسورة الفاتحة وانتهى بشرح غريب سورة النّاس.

ومن كتب القرن الثالث وصلنا كتاب " غريب القرآن " [٢] لابـن قتيبـة (-٢٧٦هـ)، وافتتح كتابه بمقدّمة بيّن فيها غرضه من تأليفه وقـال: " وغرضـنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكْمِـل، وأن نوضِّـح ونُجْمِـل، وأن لا نستشهد على اللفظ المُبْـتّذل، ولا نُكْثر الدلالة على الحـرف المسـتعمل؛ وأن لا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد" [٣] . ويعد الكتاب خلاصة لما تقدَّمه مـن كتب تفسير غريب القرآن، فقد تضمَّن آراء من سبقه من علمـاء اللغـة الـذين اجتهدوا في مجال الدراسات القرآنية، وقال ابن قتيبة:

" وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين وأصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلّفنا في شيء منه بآرائنا غير معـانيهم، بعـد اختيارنـا في الحرف أوْلَى الأقاويل في اللغة، وأشبَهَها بقصة الآية "[٤] .

فقد اتسم الكتاب بالإيجاز، إذ قصر كتابه على تفسير غريـب القـرآن دون تأويله مشكله، وقال: " نفتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسـنى، وصـفاته العـلا،

---

(١) آل عمران : ١٦١ .
(٢) طبع الكتاب بتحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨ .
(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٣ .
(٤) السابق : ٤ .

فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما ونُتْبِع ذلك ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب.. ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله، إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً " (١)

وقد سلك ابن قتيبة منهجاً سهلاً واضحاً في تناوله ألفاظ القرآن وتفسيرها، والتزم بشرح الألفاظ التي اعتقد أنها غريبة، وكان شرحه متفاوتاً بين الطول والقِصَر، فكان لا يتجاوز شرح الكلمة بمرادفها، كما في قوله تعالى: ﴿حتى يأتيك اليقين ﴾ (٢) ، أي الموت(٣) . وقوله تعالى: ﴿لو أنّ لنا كرَّة ﴾ (٤) أي رجعة(٥) . وقوله تعالى: ﴿معاجزين﴾ (٦) أي مسابقين (٧) ، وأحياناً تبلغ الصفحة الكاملة، كما في قوله تعالى: ﴿ كيف ننشرها ﴾(٨) فقد أفاض في شرحها، وذكر القراءات القرآنية وبيّن معانيها ونسبها إلى أصحابها، وردّ الآراء إلى قائليها، وقال: " بالراء أي نحييها، يقال: أنشر الله الميت فَنُشِر، وقال: (ثمّ إذا شاء أنشره) (٩) ، ومن قرأ (ننشزها) بالزاي، أراد نحرك بعضها إلى بعض ونزعجه، ومنه يقال: نشز الشيء ونشزت المرأة على زوجها، وقرأ الحسن

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٣ .
(٢) لحجر : ٩٩ .
(٣) البقرة : ١٦٧ .
(٤) تفسير غريب القرآن : ٦٨ .
(٥) الحج : ٥١ .
(٦) تفسير غريب القرآن : ٢٩٤ .
(٧) البقرة :٢٥٩ .
(٨) عبس :٢٢ .
(٩) آل عمران : ١٦١ .

"تنشرها" كأنه من النشر عن الطي، أو على أنه يجور: أنشر الله الميت ونشره، إذا أحياه" .

وكان يستشهد على ألفاظ القرآن الكريم بالحديث الشريف، ومثال ذلك شرحه معنى كلمة (يَغِلّ) في قوله تعالى: ﴿ وما كان لنبي أن يَغِلّ﴾ [١] ، أي يخون في الغنائم (ومن يغلُل يأت بما غَلّ يوم القيامة) معناه قول النبي " لا أعرفن أحدكم يوم القيامة على عنقه شاة لها ثغاء، لا أعرفن كذا، لا أعرفن كذا، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغت "، يريد: أنّ من غلَّ شاة أو بقرة أو ثوباً أو غير ذلك أتى يوم القيامة يحمله، ومن قرأ " يُغَلَّ " أراد يُخَان، ويجوز أن يكون في معنى يُلْفى خائناً. يقال: أغللت فلاناً، أي وجدته غالاً، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محموداً. وقال الفرَّاء: من قرأ: "يُغَلَّ" أراد: يُخَوَّن، ولو كان المراد هذا المعنى لقيل: يُغلَّل، كما يقال: يُفَسَّق ويُخَوَّن ويفجَّر " [٢]

ومنهج ابن قتيبة منهج لغوي، فهو يفسر الألفاظ لغوياً، ويستشهد عليها بالشعر والحديث والمثل وكلام العرب، كما يفسّرها قرآنياً، ويستشهد بأقوال المفسّرين المشهورين .

وفي القرن الرابع الهجري صنّف الإمام أبوبكر السجستاني المتوفى سنة (٣٣٠ هـ) كتاب " نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن " [٣]، وقد قرأه على شيخه المشهور ابن الأنباري، ويُعَدُّ هذا الكتاب من أدق كتب الغريب، وأوضحها

---

(١) تفسير غريب القرآن : ١١٥ .
(٢) تفسير غريب القرآن : ١١٥ .
(٣) طبع الكتاب بتحقيق مصطفى غناني، القاهرة ١٩٣٦ م .

تلخيصاً، فقد نهج المؤلف منهجاً لغوياً محضاً، فهو يفسِّر الألفاظ تفسيراً مختصراً، يتمثل في توضيح معنى المفردات القرآنية وبعض الصيغ والتراكيب التي تحتاج إلى شرح، ولم يلتزم تفصيل وجوه الاشتقاق في الكلمات إلاّ في المواطن التي تنبني عليها جملة من الأحكام، وذلك حين شرح كلمة " الكلالة" [١] و" المسيح " [٢] و" الأعجميين "[٣]. ولم يذكر السجستاني أسماء العلماء واللغويين والمفسرين الذي أفاد منهم، كما خلا كتابه من الشواهد.

وقد راعى المؤلف في كتابه ترتيب سور القرآن، كما راعى ترتيب الآيات داخل السورة، وهو ينتخب ألفاظاً غريبة منها، دون أن يحصي ذلك في كل آية، من ذلك تفسيره قوله تعالى في سورة البقرة (ألم)[٤] : (ألم) وسائر حروف الهجاء في أوائل السور، كان بعض المفسرين يجعلها أسماء للسور، تعرف كلٌّ سورة بما افتتحت به، وبعضهم يجعلها أقساماً أقسم تعالى بها، لشرفها وفضلها، ولأنها مبادئ كتبه المنزلة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا. وتفسيره" (يؤمنون بالغيب) [٥] ، أي يصدقون بأخبار الله من الجنة والحساب والقيامة وأشباه ذلك... "

ويتميز المؤلف بأصالته اللغوية، ودقة تفسيره، فهو يمهّد لقارئ القرآن الكريم ودارسه سبيل الفهم المتكامل الجوانب لكتاب الله العزيز.

---

(١) نزهة القلوب : ٦٦ .
(٢) السابق : ٣١٤ .
(٣) السابق : ٨٢ .
(٤) البقرة : ١ .
(٥) البقرة : ٣ .

وشهد التأليف في علم غريب القرآن تطوراً عندما وضع أئمة اللغة والتفسير مجموعة من الكتب التي نحت منحى الترتيب المعجمي على حروف الهجاء، وهي الطريقة الحديثة المعمول بها اليوم، وهي تفيد في تتبع اللفظ القرآني، ومعرفة دوران الكلمة وتطورها الاشتقاقي في استعمالات القرآن الكريم.

وأول من تنص المصادر على وضعه مؤلَّفاً في هذا المنحى هو أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة (٥٠٣هـ)، وجاء كتابه تحت عنوان : " المفردات في غريب القرآن "[١] وقدَّم لكتابه بمقدمة بيّن فيها أهمية العمل الذي نهض به، وذكر فيها الغاية التي من أجلها وضع كتابه، فقال: " إن أول ما يحتاج أن يُشْتَغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحقيق معاني مفردات ألفاظ القرآن الكريم في كونه من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه "[٢] . لقد أدرك الراغب أن تحقيق الألفاظ المفردة، وبيان معانيها، يعد أساساً لا غنى عنه لإدراك معاني القرآن الكريم، كما أدرك أهمية ألفاظ القرآن باعتبارها مصدراً من مصادر علم الفقه والتفسير، فقال: " فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعر والبلغاء في نظمهم ونثرهم "[٣] .

---

(١) طبع الكتاب بالمطبعة اليمنية بالقاهرة سنة ١٣٢٤، ثم طبع بتحقيق د.نديم مرعشلي في بيروت .

(٢) مفردات الراغب : ٦ .

(٣) السابق : ٦ .

وتعرَّض الراغب في مقدمة كتابه لمنهجه الذي سلكه في ترتيب ألفاظ كتابه فقال: " وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب نستوفي فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبراً فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارة منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب، وأَصِلُ بالقوانين الدالة على تحقيق مناسبات الألفاظ على الرسالة التي عملتها مختصَّة بهذا الكتاب "[١] .

لقد رتب الراغب كتابه على حروف المعجم، مراعياً في كل مادة من مواد كتابه فاء الفعل، وعينه، فلامه، من ذلك ذكره مادة " أبَّ " في باب الهمزة، ثم يذكر ألفاظ القرآن في الباب نفسه متبعاً الترتيب المعجمي، نحو أبد وأبق، وهكذا... وهذه الطريقة هي المتبعة حديثاً، وهذا الترتيب يمكِّن الباحث من أن يحصل على مراده بيسر وسهولة، وفي مدة وجيزة، وقد أعجب العرب بهذا المنهج كلَّ الإعجاب.

وقد جمع الراغب في مؤلَّفه مختلف الكلمات الغريبة، وأفاض في الشرح والتفصيل، وتتبَّع مختلف اشتقاقات الكلمة، واستعمالاتها، مثال ذلك كلمة (أبَّ) في قوله تعالى: (وفاكهة وأبَّاً) [٢] حيث قال: " الأبُّ المرعى المتهيئ للرعي والجزّ، من قولهم: أبَّ لكذا، أي تهيَّأ أبَّاً إبابة، وأبَّ إلى وطنه: إذا نزع نزوعاً

(١) السابق : ٦ .
(٢) عبس : ٣٠ .

تهيّأ لقصده، وكذا أبَّ لسيفه: إذا تهيَّأ لسلِّه، وإبّان ذلك فِعْلان منه، وهو الزمان المهيَّأ لفعله ومجيئه " (١)

وهكذا يمضي الراغب في تفسير غريب القرآن تفسيراً لغوياً، يشرح الكلمة، ويذكر مختلف معانيها، والأحوال التي قيلت فيها، واستعمالاتها المتعددة، ولذلك جاء كتابه تفسيراً جامعاً لما ورد في القرآن الكريم من المفردات الغريبة، وغدا بذلك معجماً لغوياً خاصّاً بكلمات القرآن الكريم، وقد جاء غنياً بمادته، خصباً وافراً، ويعد من المراجع المهمة للمشتغلين بدراسة القرآن الكريم، وقد نال إعجاب العلماء والفقهاء والمفسّرين واللغويين، وقال عنه الإمام جلال الدين السيوطي – رحمه الله–: " ومن أحسنها المفردات للراغب " (٢)

وفي القرن الثامن للهجرة، وضع أبوحيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي الجيّاني الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) كتابه الموسوم بـ " تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب " (٣) ومهّد لكتابه بمقدمة بيَّن فيها مادة كتابه، وتعرّض لمنهجه وقال: " لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض وفوق وتحت، وقسم يختصُّ بمعرفته من له اطلاع وتجربة في اللغة العربية، وهو الذي صنّف أكثر الناس فيه وسمُّوه غريب القرآن ". والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم، وأن نرتبه على حروف المعجم، فأذكر في كل حرف منها ما فيه من المواد، معتبراً في ذلك الحروف الأصلية لا الزائدة،

---

(١) مفردات الراغب مادة (أبَّ) .
(٢) الإتقان في علوم القرآن : ٩٤/١ .
(٣) طبع الكتاب بتحقيق د.أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٧٧ .

مقتصراً في ذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن العزيز، والله ينفع بذلك"[١] .

لقد سلك أبوحيّان منهجاً واضحاً في كتابه، وصرَّح بأنه سيعمد إلى شرح الغريب الذي لا يعرفه إلاَّ من له اطلاع وتبحُّر في العربية، وراعى في ترتيب مواده الترتيب المعجمي الهجائي، معتمداً في ذلك الحروف الأصلية لا الزائدة، وقد ابتدأ بشرح المفردات الغريبة التي أولها همزة، وراعى الترتيب المعجمي الهجائي للكلمات داخل الباب نفسه، ومثال ذلك مادة (أ ب ب): " الأبّ ": مارعته الأنعام، وقيل هو للبهائم كالفاكهة للناس. ومادة "(أ ر ب): " الإربة":الحاجة .. ويمضي على هذا النسق حتى يختم كتابه بتفسير المفردات الغريبة التي تبدأ بحرف الياء، حيث قال في مادة (ي س ر): " يسير ": سهل. واليسير: القليل. والميسر: القمار. وفي مادة (ي م م): " اليَمُّ ": البحر. وتيمّموا: اقصدوا..

ووصف أبوحيّان كتابه بـ " المختصر "؛ ولذلك لم يأت بالأمثلة الموضحة، ولم يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر، وأقوال أهل اللغة، فهو يفسر الكلمة الغريبة بكلمة أو اثنتين، من ذلك شرحه كلمة (حفيٌّ) في قوله تعالى: (كأنك حفيٌّ عنها)[٢] . فقال: مُعْتَن. وقوله تعالى:(أيان مرساها) [٣] فقال: قرارها. و (الفوم)[٤]فقال: الحنطة، وقيل:

(١) تحفة الأديب : مقدمة الكتاب .
(٢) الأعراف : ١٨٧ .
(٣) الأعراف : ١٨٧ .
(٤) البقرة : ٦١ .

الثوم. و (الفُلْــك)[١] . فقال: السفينة. و(الدُّخــان)[٢] فقال: كناية عن الجــدب ويُعَبّــر به عن الشر. و (بَكَّــةَ)[٣] . فقال: اسم لبطن مكة، وقيل: اسم لمكــان البيت.

فكتاب " تحفــة الأديــب " هو أقرب ما يكون إلى المختصر الشبيه بمتــون العلم، ولم يكن ذلك المرجع الواسع الذي يضم أشتات العلم وأطرافه.

---

(١) البقرة : ١٦٤ .
(٢) الدخان : ١٠ .
(٣) آل عمران : ٩٦ .

المبحث الثاني

مسالك علماء اللغة

في التعامل مع اللغات التي نزل بها القرآن الكريم

ائتلفت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرؤوه بلغاتهم المختلفة، وهذه اللغات -وإن اختلفت في اللهجة والاستعمال- إلاَّ أنها تتفق في المعنى، وقد استوفى القرآن أحسن ما في تلك اللغات من ذلك المعنى، وجمع الأذواق المختلفة على لغته المعجزة وبيانه الساحر.

وشرع اللغويون بوضع رسائل لغوية في " لغات القرآن " و " لغات القبائل " و" المعربّ والدّخيل في القرآن الكريم "، والمتأمل المتأنِّي في تضاعيف هذه الكتب المبكِّرة على تنوُّع مادتها وعنواناتها سيلاحظ مدى تأثرها بمصطلح "الغريب" الذي فتح أبواباً ومجالات للنشاط اللغوي، ستتسع وتتعدَّد، وكان هدفها واحداً وهو فهم نصوص الوحي، وهذا الأمر لا يتم إلا بشرح غريبه ومشكله وما وقع فيه من لغات القبائل غير القرشية، أو من لغات الأقوام غير العربية.

وقد كان للغويين في معالجة لغات القرآن الكريم اتجاهان: الأول عالجوا فيه الألفاظ العربية الغريبة الوافدة على الحجاز من لغات القبائل الأخرى. والاتجاه الثاني توافروا فيه على دراسة الألفاظ غير العربية الأصول، أو تمييزها. وأشار الدكتور حسين نصار إلى بعض وجوه الاختلاف بين الكتب التي توفر بعضها على دراسة الألفاظ الغريبة في القرآن، وتوفَّر بعضها الآخر على دراسة المعاني، وقد أفرد مكاناً خاصاً لما يسمّى بـ " لغات القرآن " عند تصنيفه لكتب الغريب،

وقال: " ومن الطبيعي أنَّ هذه الكتب جميعاً تتصل باللغة بصلاتٍ كبيرة ولكنَّها ليست في شدَّة صلة غريب القرآن بها "[١] .

أما اللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش فهي لغة بني سعد بن بكر الذين كان النبي ﷺ – مُسترضَعاً فيهم، ولغات جُثَم بن بكر، ونَضِر بن معاوية، وثقيف وخزاعة، وهُذَيْل، وكنانة، وأسد، وضبَّة، وقيس، وقبائل أخرى كانت تسكن وسط الجزيرة العربية.

وجرت لغة القرآن على أحرف مختلفات في منطق الكلام، لتحقيق الهمز وتخفيفه، والمدِّ والقصر، والفتح والإمالة وما بينهما، والإظهار والإدغام، وضم الهاء وكسرها في " عليهم " و " إليهم "، وإلحاق الواو في لفظتي " فيهم " و "عنهم"، وإلحاق الياء في " إليه " و " عليه " و " فيه "، ونحو ذلك، فكان أهل كل لغة يقرؤونه بلغتهم.

وربما استعمل القرآن الكلمة الواحدة في منطق أهل اللغات المختلفة، فجاء بها على وجهين، لمناسبة في نظمه: كبراء[٢] ، وبري[٣] ، فإن أهل الحجاز يقولون: أنا منك براء، وتميم وسائر العرب يقولون: أنا منك بريء، واللغتان في القرآن، كذلك قوله: (فأسْرِ بأهلك)[٤] . وقوله: (والليل إذا يسري)[٥] ، فإن الأولى لغة قريش، يقولون: أسْرَيْت، وغيرهم من العرب يقولون: سَرَيْت.

---

(١) المعجم العربي : ١ : ٧٤ – ٧٨ .
(٢) الزخرف : ٢٥، وتمام الآية : { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون } .
(٣) الأنعام : ١٩، وتمام الآية : { قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون } .
(٤) هود : ٨١، وتمام الآية : { فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد } .
(٥) الفجر : ٤، وتمام الآية : { والفجر، وليالٍ عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر } .

وبذلك تختلف اللغات، وتختلف القراءات التي تجيء منها، فالناقلون عمّن قرأ بلغة قبيلة ينقلوه بتلك اللغة في الأكثر، ولذا قيل: إنّ القراءات السبع متواترة، وروى أهل الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: " أُنْزِل القرآن على سبعة أحرف، لكلٍّ منها ظهرٌ وبطن ولكلِّ حرف حَدٌ، ولكلِّ حدٍّ مطلَع "، والمراد بالأحرف اللغات التي تختلف بها لهجات العرب، حتى يوسع على كل قوم أن يقرؤوه بلغتهم، وما كان العرب يفهمون من معنى الحرف في الكلام إلاَّ اللغة، أمّا بعد الإسلام فخصُّوا لفظة الحرف من القرآن بكل كلمة تقرأ منه على الوجوه، فيقولون هذا حرف ابن مسعود مثلاً، يعنون قراءته، ثم اختلفوا في التأويل، وتفسير هذه الأحرف، ولكنّ الأكثرين على أنّها سبع لغات من لغات قريش وألفافها من ظواهر مكة إلى قيس، وأنّ هذه اللغات تختلف بسبعة وجوه، وبجميع ذلك نزل القرآن الكريم:

الوجه الأول: إبدال لفظ بلفظ كالحوت [١] بالسمك، وبالعكس، وكالعهن المنفوش[٢] قرأها ابن مسعود: كالصوف المنفوش.

والثاني: إبدال حرف بحرف كالتابوت [٣] والتابوه.

والثالث: تقديم وتأخير، إمّا في الكلمة، نحو: سُلِب زيد ثوبه، وسُلِبَ ثوبُ زيد، وإمّا في الحرف، نحو: أفلم ييأس، وأفلم يأيس.

والرابع: زيادة حرف أو نقصانه، نحو: ماليه وسلطانيه.

---

(١) الكهف : ٦٣، وتمام الآية : { إني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره } .
(٢) القارعة : ٥، وتمام الآية : { وتكون الجبال كالعهن المنفوش } .
(٣) طه : ٣٩، وتمام الآية : { أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل } .

والخامس: اختلاف حركات البناء، نحو (فلا تحسبنَّ) [١] بفتح السين وكسرها.

والسادس: اختلاف الإعراب نحو (ما هذا بشراً) [٢] ، وقرأ ابن مسعود بالرفع.

والسابع: التفخيم والإمالة، والتفخيم أعلى وأشهر عند فصحاء العرب.

وهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب، قد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقاً فيه، ليعلم بذلك أنَّ مَنْ زلّ عن ظاهر التلاوة بمثله، أو من تعذّر عليه ترك لغته، فخرج إلى نحو ممَّا نزل به، فليس بملوم، ولا معاقب عليه، وكلٌّ هذا فيما إذا لم يختلف في المعاني.

وكان أول من نصَّت المصادر على تأليفه كتاباً في علم " لغات القرآن " هو الصحابي الجليل ابن عبَّاس رضي الله عنهما، فقد ألفّ كتاب " اللغات في القرآن"[٣] وقد وصل إلينا برواية ابن حسنون المقرئ، وقد أسنده إلى ابن عبّاس. ويُعَدُّ هذا الكتاب السلسلة الرابطة بالقرن الأول الهجري الذي بدأ فيه أئمة اللغة جهودهم لمعالجة اللغات في القرآن الكريم، وقد أفرد كتابه لما في القرآن من لغات القبائل والأمم، وقال في مقدمة كتابه: " والقرآن، ليس فيه لغة غير لغة العرب، وربَّما وافقت اللغة اللغات. فأمّا الأصل والجنس فعربي لا يخالطه شيء والقرآن عربي " [٤] وكانت لغة قريش تشكل أساس القرآن الكريم، ولكنه احتوى على بعض الألفاظ التي تستخدمها قبائل عربية أخرى وفي ألسنة أخرى، أي يستعملها العرب مع بعض الأمم الأخرى، ونهض ابن عبّاس بتفسير دلالات كلمات

---

(١) إبراهيم :٤٧، وتمام الآية : { فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام} .
(٢) يوسف : ٣١ ، وتمام الآية : { وقلن حاشا لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم } .
(٣) طبع الكتاب بتحقيق د.أحمد بولوط، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣ .
(٤) اللغات في القرآن : ٣٨ .

القرآن الغريبة التي لم يستوعبها العرب مستعيناً بمعرفته بلغات القبائل العربية وذكر ألفاظ قريش الخاصة بها، والتي شاركت بها قبائل أخرى، وبيّن أن القرآن أخذ من ألفاظ قريش بأوفر نصيب، ثمَّ ذكر ألفاظ هذيل وكنانة وحمير وجُرْهُم وتميم وقيس عيلان، ثم خَثْعَم وأزدشنوءة، وأهل عُمَان، ثم طيئ ومَذْحج ومَدْين وغسَّان، ثم بني حنيفة وحضرموت وأشعر، ثمَّ أنمار، ثمَّ خزاعة وبني عامل ولَخْم وكِنْدَة، ثم سبأ، وأهل اليمامة ومُزَينة وثقيف وسدوس وسعد العشيرة والعمالقة وعذرة والأزد وتغلب والأوس وهمدان.

وراعى ابن عبّاس في كتابه ترتيب سور القرآن، فبدأ بالبقرة وانتهى بالعاديات، ثم رتَّب الآيات في كل سورة ترتيبها في المصحف أيضاً. ولم يلتزم إلاَّ بتفسير الكلمات الغريبة التي يستغلق فهمها، وتُلْغِز دلالتها على القارئ، فيورد الآية التي تشتمل على كلمة غريبة، ويفسرها وحدها، ويبين دلالتها بلغة القبيلة التي تصطلح على تسميتها، وينص على اسم القبيلة، من ذلك تفسيره قول الله عزَّ وجلَّ: (قالوا أتؤمن كما آمن السفهاء)[١] . والسفيه: الجاهل بلغة كنانة[٢] . ويورد المعاني الأخرى للكلمة بلغات قبائل أخرى، من ذلك تفسيره قوله تعالى: (إلاّ من سَفِه نفسه)[٣] ، يعني من خسر نفسه بلغة طيء. فالكلمة من المشترك اللفظي الذي فسَّره علماء اللغة بالعامل اللهجي، فاختلاف لغات القبائل يعد من أهم أسباب نشوء ظاهرة الاشتراك في اللغة العربية، ونظر المعتدلون من علماء اللغة إلى وقوع الاشتراك في اللغة على أنّه واقع، ولكن ينبغي ألاّ يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً، ولكنه من لغات تداخلت، كأن تكون لفظة تستعمل لمعنى في

(١) البقرة : ١٣ .
(٢) اللغات في القرآن : ٣٨ .
(٣) البقرة : ١٣٠ .

قبيلة وتُستعمل اللفظة نفسها لمعنى آخر في قبيلة أخرى، وتتداخل اللغات، وتصير اللفظة ذات معان متعددة.

ويتوخى ابن عبّاس الإيجاز فيورد أحياناً الكلمة الغريبة ويفسرها، دون أن يسوق الآية، وينص على لغة القبيلة التي تستخدمها بدلالة يفهمها أفراد هذه القبيلة، من ذلك تفسيره قوله تعالى: (رغداً) [١] ، يعني الخصب بلغة طيء، وقوله: (رجزاً)[٢] ، يعني العذاب بلغة هذيل، وقوله: (فلا تعضلوهن)[٣] ، يعني لا تحبسوهن بلغة ازدشنوءة، وقوله: (الحي القيوم) [٤] ، يعني القائم بلغة قريش، قوله: (سيّداً وحصوراً) [٥] ، ويعني بالسيد الحليم بلغة حمير والحصور الذي لا حاجة له في النساء بلغة كندة.

ويبيّن دلالة الكلمة بما يتفق وصيغتها الصرفية وبناءها اللغوي، من ذلك تفسيره قوله تعالى: (تدّخرون) [٦] ، مُثقَّل بلغة تميم، وتَدْخرون مُخفَّف بلغة كنانة، ويذكر المعنى اللغوي للكلمة الغريبة، وينص على دلالتها المشتركة بلغات القبائل التي تستخدمها، من ذلك تفسيره قوله تعالى:

(يأتوكم من فورهم) [٧] يعني من وجوههم بلغة هذيل وقيس بن عيلان وكنانة، وقوله عزّ وجلّ: (إنه كان حوباً كبيراً) [٨] ، يعني ذنباً كبيراً بلغة طيء

---

(١) البقرة : ٣٥ .
(٢) البقرة : ٥٩ .
(٣) البقرة : ٢٣٢ .
(٤) البقرة : ٢٥٥ .
(٥) آل عمران : ٣٩ .
(٦) آل عمران : ٤٩ .
(٧) آل عمران : ١٢٥ .
(٨) النساء : ٢ .

وغطفان والحبشة. وينص على ذكر دلالة الكلمة الغريبة التي ترد في سور أخرى، وذلك عندما يتعرَّض لتفسيرها أولّ مرة، من ذلك تفسيره قوله تعالى: (إن ترك خيراً الوصيَّة) [١] ، يعني الخير بالمال بلغة جرهم، وكذلك في سورة النور: (إن علمتم فيهم خيراً) [٢] ، يعني لهم مالاً، وكقوله في سورية الكهف: (ما مكَّني فيه ربي خير) [٣] ، يعني المال. وقوله تعالى: (فمن خاف من مُوْصٍ جَنَفاً) [٤] يعني متعمّداً للجنف بلغة قريش، وكقوله عزّ وجلّ في سورة المائدة: (غير متجانف لإثم) [٥] ، يعني متعمَّداً. وقوله تعالى: (وأرسلنا المساء عليهم مدراراً)[٦] ، يعني متتابعاً بلغة هذيل، وكذلك في سورة هود عليه السلام: (يرسل السماء عليكم مدراراً) [٧] ، يعني متتابعاً.

فابن عبّاس التمس تفسير المعاني الغريبة مستعيناً بمعرفته بلغات العرب (لهجاتها)، ومعرفة طريقة النحو والإعراب والصرف، ودربة وإلمام بأسراء الشعر وأغراضه ومعانيه وأساليبه.

ووجد علماء العربية أنفسهم أمام ألفاظ ماهي بالعربية الصريحة، وربما كانت وقعت لهم معرفتها من لغة أخرى ألمُّوا بها فامتثل أمامهم ذلك السؤال

---

(١) البقرة : ١٨٠ .
(٢) النور : ٣٣ .
(٣) الكهف : ٩٥ .
(٤) البقرة : ١٨٢ .
(٥) المائدة : ٣ .
(٦) الأنعام : ٦ .
(٧) هود : ٥٢ .

الكبير: هل في القرآن الكريم كلام أعجمي؟ .. ولا تزال الإجابة محلّ أخذ وردّ إلى اليوم(١) .

وقال أبو حاتم الرازي في باب (الأسماء الأعجمية في القرآن الكريم): "فمنها ماهي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسماء دلَّ عليها النبي ﷺ في هذه الشريعة، ونزل بها القرآن الكريم، فصارت أصولاً في الدين، وفروعاً في الشريعة، لم تكن تعرف من قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ تعرفها العرب، وأسماء جاءت في القرآن الكريم، لم تكن العرب تعرفها، ولا غيرهم من الأمم مثل: تسنيم(٢) ، وسلسبيل(٣) ، وغسلين (٤) ، وسجين (٥) ، والرَّقيم (٦) ، وغير ذلك"(٧) .

وراح العلماء يبحثون في هذه الألفاظ ليتحقَّقوا أعربية هي أم أعجميَّة؟. وكانت لهم في ذلك آراء مختلفة تمخضت عن ثلاثة مذاهب:

---

(١) أثر الدخيل على اللغة العربية الفصحىفي عصر الاحتجاج، د.مسعود بوبو، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٣ ص ٧١.

(٢) تسنيم، قوله تعالى : { ومزاجه من تنسيم عينًا يشرب بها المقربون } ، المطففين : ٢٨ .

(٣) السلسبيل، قوله تعالى : { عينًا فيها تسمى سلسبيلاً } الدهر : ١٨ .

(٤) غسلين ، قوله تعالى : { ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون } الحاقة : ٣٦ .

(٥) سجين، قوله تعالى : { كلا إن كتاب الفجار لفي سجين } المطففين : ٧،٨ .

(٦) الرقيم، قوله تعالى: { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم من آياتنا عجبًا } الكهف : ٩ .

(٧) الزينة في الألفاظ الإسلامية العربية، أبو حاتم، تحقيق : د.حسين الهمداني ، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧، ص ١٨، ص١٣٩.

- **فريق** أنكر وجود الأعجمي في القرآن محتجاً بوجود آيات صريحة الدلالة على كونه قرآناً عربياً، نزل بلسان عربي[١] ، كما ورد نفي الأعجمية عنه في موضعين[٢] ، وممن أثر عنهم ذلك كثيرون، قال الإمام السيوطي: "فالأكثرون، ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه "[٣] .

- **وفريق** قال بوجود الأعجمي فيه فيما نقل عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة وغيرهم[٤] .

- **وفريق ثالث** وقف من المسألة موقفاً معتدلاً وفَّق فيه بين الفريقين السابقين[٥] .

ولعلّ أصوب الأقوال في ذلك ما قاله الإمام الرازي نقلاً عن أبي عبيدة قال: "أصولها (الألفاظ) أعجمية، إلاّ أنّها سقطت إلى العرب فعرَّبتها بألسنتها وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الألفاظ بكلام العرب على التعريب "[٦] . وما قاله ابن عطيَّة من أن العرب: "علقت ألفاظاً أعجميَّة غيَّرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل

---

(١) الآيات هي : الشعراء : ١٩٢-١٩٥، والرعد : ٣٧، والشورى : ٧، والزخرف : ١ أو ٣ ، والزمر : ٢٨.

(٢) في سورة النحل : ١٠٣، وسورة فصلت : ٤٤ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١٣٥/١، وانظر : الزينة في الألفاظ الإسلامية: ١٣٧/١-١٣٩ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس : ١٦، وانظر : الزينة في الألفاظ الإسلامية : ١٣٤/١-١٣٦ .

(٥) السابق : ٢٩، وانظر : الزينة في الألفاظ الإسلامية : ١٤٠/١

(٦) الزينة في الألفاظ الإسلامية : ١٣٩/١ .

العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح، ووقع بها البيان. وعلى هذا الحدِّ نزل بها القرآن فإنْ جهلها عربي فكجهله الصريح بما في لغة غيره...".

ويخلص إلى النتيجة التالية:

" فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنَّها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعرَّبتها بهذا الوجه "(١) .

وغير خفي أن كثيراً من الألفاظ التي كانت عجمتها موضع جدل عُدَّت عندهم من الغريب، وتعرّض ابن عبّاس لتلك الألفاظ التي رأى أنّها وافقت لغة عربية، ونص على ذلك عندما فسَّرها، من ذلك تفسيره قول الله عزَّ وجلَّ: (ورفعنا فوقكم الطور) (٢) ، يعني الجبل، وافقت لغة العرب في هذا الحرف لغة السريانية، وقوله تعالى: (إبراهيم) (٣) ، بلغة توافق السريانية، وقوله تعالى: (فصُرُّهنَّ إليك) (٤) ، يعني فقطِّعْهُنَّ، وافقت لغة النبطية(٥) .

وألّف الإمام السيوطي فيما ورد في القرآن الكريم من المعرّب كتابين منفصلين، الأول سمّاه: " المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب " عام ٨٧٨هـ، والثاني سمّاه " المتوكلي "(٦) ، نسبة إلى المتوكِّل على الله العبَّاس وألفه بعد عام ٨٨٤هـ وقد اقتصر فيه على المعرَّب الأعجمي دون لغات القبائل،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢٩٢/١، ومقدمتان في علوم القرآن : ٢٧٧-٢٧٨ .
(٢) البقرة : ٦٣ و ٩٣ .
(٣) البقرة : ١٣٠ و١٣٢ و ١٣٣ .
(٤) آل عمران : ٢٠٦ .
(٥) اللغات في القرآن : ٣٨ .
(٦) طبع الكتاب ونشرته مكتبة القدس والبدير بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ .

ووجَّه عناية خاصَّة فيه إلى ما دخل العربية من الحبشية، ونصّ عنوان الكتاب على أسماء اللغات التي وردت في القرآن الكريم فجاء ما نصُّه: " المتوكلِّي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والرومية والعبرانية والبربرية "[١] .

ورتّب السيوطي مواده بحسب اللغات الأصلية التي أخذت الألفاظ منها، ففصل المعرَّب عن اللغة الواحدة، عن المعرَّب عن لغة أخرى، ولم يرتِّب الألفاظ داخل الأقسام، وإنما أتى بها عشوائياً دون الأخذ بمنهج معيَّن أو أساس ملتزم. ومال الكتاب إلى الاختصار، وفي مقدمة ما اعتمد عليه السيوطي من أدلة معرفة المعرّب السماع، ومن السماع تصريح أئمة اللغة بأن اللفظ فارسي أو رومي أو دخيل أو أعجمي أو معرّب، ومثل هذا سماع مرفوع مسند.. من ذلك ما قاله السيوطي في " ذكر ما ورد في القرآن بالفارسية ": " أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: " الاستبرق " الديباج الغليظ بالفارسية، وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عبّاس في قوله: " سجِّيل " قال هي بالفارسية " سنك وكل " حجر وطين. وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن ساباط في قوله: سجِّيل " قال هي فارسية، وأخرج الفريابي عن مجاهد قال: " سجيِّل " بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين، وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جُبَيْر في قوله: (إذا الشمس كوِّرت)[٢] . قال: غُوِّرَت بالفارسية. وأخرج الفريابي عن مجاهد في قوله تعالى: (له مقاليد السموات والأرض) [٣] ، مفاتيح بالفارسية..."[٤] .

---

(١) المتوكلي : المقدمة / ١ .
(٢) التكوير : ١ .
(٣) الزمر : ٦٣ .
(٤) المتوكلي : ٧ .

وإذا ما أخذنا هذه الجهود اللغوية بمعايير البحث العلمي في ظاهرة "المعرَّب"، أو بمعايير الدراسة اللغوية للنصوص نجد أنّها لا تكاد تتعدّى الإطار النظري الذي يرمي إلى الدفاع عن قضيّة أخرى لا يشكّل " المعرّب " فيها أكثر من طرف ثانوي عارض، محور تلك القضية في الأصل هو خدمة النص القرآني. أمّا التوقف عند المعرّب فيتحدَّد بمدى ما لعلاقة المعرّب بِكَلِم القرآن الكريم من أهميَّة، لا باعتباره يشكل موضوعاً قائماً بذاته ينعقد عليه البحث.

الخاتمة

وخلاصة القول إن العلماء الذي توافروا على معالجة الغريب في الألفاظ القرآنية المفردة، ودرسوا الألفاظ غير العربية الأصول، وميّزوها، وهي لم تكن دراسة تاريخية أو مقارنة تنمّ على معرفتهم باللغات الأخرى، بل جلّ ما أتوا به في هذا السبيل أنَّهم نسبوا اللفظ إلى الفارسية أو الرومية أو الحبشية، دون تبيان المدلول الدقيق له في لغته الأصلية، أو الأصل الذي اشتق منه، وهو أمر غير مستبعد ولا مستغرب لأنّ هدفهم كان خدمة القرآن باللغة، لا خدمة اللغة ذاتها أو البحث فيها بحثاً صرفاً مجرَّداً. ومن ثم كان لهذه الدراسة أثرها البعيد على اللغة العربية ذاتها، إذ سرعان ما تفرَّعت دراسات الغريب هذه إلى دراسات لغوية خالصة بعيدة عن النص القرآني نفسه، متَّجهة إلى اللغة نفسها تحاول تنقيتها وتحديد دلالات ألفاظها، فشرعت في وضع المعاجم اللغوية وغيرها من كتب المتون كالأضداد والنوادر والغريب في اللغة.

على هذه الصورة كانت دراسات غريب القرآن والمعرَّب في القرآن الكريم دراسات لغوية خالصة في علم الدلالة، وإن أغفلت عنصراً هاماً هو المقارنات اللغوية، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى أن نظرية " العائلات اللغوية " لم تكن معروفة عند القدماء من لغويي العرب، وإن كانت كتب الغريب لا تخلو أحياناً من محاولات فردية لإرجاع بعض الألفاظ الأخرى غير العربية.

وإن اللغويين العرب أكّدوا في دراساتهم على أنّ " من أراد معرفة كتاب الله – جلَّ وعزَّ – وما في سنَّة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بُدَّاً ..."[١] .

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس : ٦٤ .

قائمة المصادر و المراجع:

- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، مراجعة و تدقيق: سعيد المندوة ، بيروت، ط ١ ، دار الفكر ، ١٩٩٦ م.
- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د.مسعود بوبو، دمشق، مطابع وزارة الثقافة، ١٩٨٢م.
- أثر القرآن في تطور النقد العربي، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦١ .
- أسس علم اللغة ، ماريو باي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر ، القاهرة، عالم الكتب ، ١٩٨٣م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م .
- إعراب القرآن، النحاس، حققه : د.زهير غازي أحمد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٠م .
- الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت، ١٩٧٤م .
- الألفاظ الفارسية المعربة، أدّي شير، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م.
- الألفاظ اللغوية، عبد الحميد حسن، معهد البحوث والدراسات لجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧١م .
- البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ .
- البداية والنهاية، ابن كثير عماد الدين إسماعيل، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م .

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي، تحقيق : محمد لأبي الفضل إبراهيم ، القاهرة، البابي الحلبي ، ١٩٦٤ م .
- البُلغة في تاريخ أئمة اللغة، الفيروز أبادي، حققه محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢.
- تاريخ التراث العربي، د.محمد فؤاد سزكين، ترجمه عرفه مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٨٨م .
- تاريخ علوم اللغة العربية، طه الراوي، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٤٩م .
- التطور اللغوي التاريخي، د.إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.
- تحفة الأديب بما في القرآن الكريم من الغريب، أبو حيان النحوي الأندلسي، حققه د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٧٧م .
- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، حققه السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٨م .
- التفسير الكبير، الفخر الرازي، نشرته المطبعة المصرية بمصر، ١٣٥٢ هـ، ١٩٣٣م .
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، حققه د.عبد العال سالم مكرم، دار الشروقق، بيروت، ١٩٧١م.
- دراسات في فقه اللغة، د.صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.
- دراسات في اللغة، د.إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١م.

- دراسات في اللغة، د.مسعود بوبو، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٣م .
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٨٤م.
- دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- دلالة الألفاظ عند الأصوليين، د.محمد توفيق سعد، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الزينة في الكلمات الإسلامية ، أبو حاتم الرازي، تحقيق د. حسين الهمداني، دار مصر، الكتاب العربي، ١٩٥٧م.
- سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس، ابن عباس، حققه د.إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م .
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس اللغوي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٧٧م.
- طبقات المفسرين، الداودي، حققه علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٢ .
- ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، د.أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية .
- علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، د.فايز الداية،دار الفكر، دمشق،١٩٨٥م.
- علم المفردات في إرثنا اللغوي، نشأة محمد رضا ظبيان، دار العلوم، الرياض، ١٩٨١م .
- العمدة في غريب القرآن، محمد مكي القيسي، حققه د. يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م .
- الفهرست، ابن النديم، تحقيق : رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.

- في التحليل اللغوي،منهج وصفي وتحليلي، خليل أحمد عمايرة، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٧م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، أنقرة، تركيا، ١٩٦٤م.
- اللغات في القرآن، ابن عباس، تحقيق : د. أحمد بلوط، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣م .
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، حققه : د.فؤاد سزكين، القاهرة، ١٩٥٤م .
- مذاهب التفسير الإسلامي، كولد سهير، ترجمة د. عبد الحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م .
- المزهر في علوم اللغة ، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى و آخرين ، بيروت، المكتبة العصرية،١٩٨٦ م.
- المتوكلي، السيوطي، نشرته مكتبة القدسي وبدير، دمشق، ١٩٣٨ م .
- المعجم العربي، د.حسين نصار، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٥٦م.
- مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة ابن عطية ومقدمة كتاب المباني)، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمدية ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٤، نشر : أرثر جفري .
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق : نديم المرعشلي، بيروت .
- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، أبوبكر السجستاني، تحقيق : مصطفى عناني، القاهرة، ١٩٣٦م .
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١	ملخص	٢
٢	المبحث الأول مناهج أئمة اللغة المتقدّمين في معالجة الغريب في القرآن الكريم	٤
٣	المبحث الثاني مسالك علماء اللغة في التعامل مع اللغات التي نزل بها القرآن الكريم	٢٨
٤	الخاتمة	٤٠
٥	قائمة المصادر و المراجع:	٤١
٦	فهرس الموضوعات	٤٥